كسر الوصمة: النهوض بحقوق المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية والرعاية الصحية الشاملة في الأردن

يواجه الأشخاص المتعايشون مع فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز وصمةً مجتمعية هائلة وتمييزًا يؤثر على حقهم في الوصول إلى الخدمات الصحية والتعليم والعمل، بل وحتى حقهم في الزواج. يعاني كثيرون من الإقصاء نتيجة حواجز قانونية ومجتمعية تحدّ من قدرتهم على الحصول على الرعاية الصحية الأساسية.

"سافرتُ مع زوجي إلى إحدى دول الخليج حيث حصل على عمل. وخلال زيارة روتينية للمستشفى، اكتشف الأطباء أنني مصابة بفيروس نقص المناعة. تم ترحيلي أنا وزوجي فورًا. في البداية، دعمني لأنه يعلم أنني أُصبت نتيجة نقل دم، لكن مع مرور الوقت تلاشى دعمه. وعندما أخبرت عائلتي، تمنّوا لو أنني متّ أو لم أُولد أساسًا."

"وُلدتُ مصابة بالفيروس لأن والدتي كانت حاملة له. لم تقبلني أي مدرسة، ولم أحظَ أبدًا بفرصة ارتداء الزي المدرسي أو التعلم بين أقراني كبقية الأطفال."

هذه الشهادات ليست إلا أمثلة على حجم الوصمة والتحديات الاجتماعية التي تواجهها النساء والمصابون بفيروس نقص المناعة البشرية في الأردن.

ورغم أنه لا يوجد علاج شافٍ للفيروس، إلا أن العلاجات الحديثة حوّلته إلى مرض مزمن يمكن التعايش معه. فمع الرعاية الطبية المناسبة، يستطيع المصابون أن يعيشوا حياة طويلة وصحية. والأهم أن من لديهم حمولة فيروسية غير قابلة للكشف لا ينقلون العدوى إلى شركائهم. لكن الوصول المبكر للعلاج يظل حاسمًا ليس فقط لتحسين الصحة وإنما لمنع انتقال الفيروس.

هناك خرافة منتشرة مفادها أن جميع المصابين بالفيروس التقطوه من علاقات جنسية "غير مشروعة"، مما يرسّخ الصور النمطية الضارة ويعزز التمييز. وتتضرر النساء بشكل خاص، إذ يُنقل إليهن الفيروس في الغالب من أزواجهن، لكنهن يُلامن وتُلقى عليهن المسؤولية. لذا، كثير منهن يتجنبن طلب العلاج خوفًا من الحكم الاجتماعي، فيما تجهل أخريات بوجود خدمات صحية أو تعجزن عن الوصول إليها بسبب حواجز مالية وقانونية. كما أن غياب التكامل بين خدمات الصحة الجنسية والإنجابية وخدمات الفيروس في المراكز الصحية العامة يزيد من تهميشهن ويمنع حصولهن على رعاية شاملة.

"اكتشفتُ إصابتي بالفيروس عام 2006، حين لم يكن الناس يعرفون الكثير عنه. كنت مرعوبة واعتقدت أن حياتي انتهت، لأن كل ما عرفته عن الإيدز أنه موت محتّم. أخبرت والدي، فقبلني وساندني. لجأت إلى الإرشاد والعلاج رغم محدودية الموارد. بدأت أقرأ وأتعلّم وأشارك في مبادرات عالمية لأفهم أكثر. وبعدها أسستُ مجموعة دعم لأشخاص مثلي، لنتعلم ونتشارك الأمل ونساعد بعضنا. مركز *Forearms of Change* كان طوق نجاة بالنسبة لي، وسأظل ممتنّة له."

تأسس **مركز سواعد التغيير لتمكين المجتمع** عام 2012، ويُعد المنظمة الأردنية غير الحكومية الوحيدة التي تكرس جهودها للدفاع عن حقوق المتعايشين مع فيروس نقص المناعة. يعمل المركز على تعزيز الصحة الجنسية والإنجابية من خلال مقاربات شاملة تشمل الفيروس، الأمراض المنقولة جنسيًا، العنف القائم على النوع الاجتماعي، والتعليم الجنسي الشامل. ويهدف إلى بناء بيئة خالية من الوصمة تُمكّن المتعايشين والمجموعات المعرضة للخطر من الوصول إلى الرعاية الصحية دون خوف أو تمييز.

يرتكز برنامج مركز سواعد التغيير للصحة الجنسية والإنجابية على قيادة شبابية وينفَّذ عبر أربعة محاور رئيسية: التوعية، والمناصرة، والتمكين، وتكامل الخدمات. ومن خلال العمل المباشر مع المجتمعات المتأثرة، نجح المركز في بناء الثقة وتمكين النساء بالمعرفة والأدوات للدفاع عن حقوقهن.

وكان لإشراك القادة الدينيين دور جوهري في جهود التوعية. فباستخدام سرديات مستمدة من تعاليم الإسلام والمسيحية، ساعد المركز في تفكيك التصورات المغلوطة. ونفّذ ست ورش لبناء قدرات أصحاب الحقوق في الصحة الجنسية والإنجابية، ودرّب 85 شخصًا، وأعدّ دلائل دينية مستندة إلى النصوص الدينية. ثم قاد هؤلاء القادة 10 جلسات توعية مجتمعية حضرها 204 أشخاص تناولت قضايا الفيروس من منظور إسلامي.

كما عمل مركز سواعد التغيير على تدريب الكوادر الصحية، حيث نظم 12 ورشة متخصصة حضرها 246 من مقدمي الرعاية الصحية في وزارة الصحة، ما أسهم في تأهيلهم لتقديم رعاية واعية ومرهفة. وإدراكًا لقوة الإعلام، أنشأ المركز لجنة إعلامية لتعزيز أهداف المشروع، ودرّب صحفيين على موضوعات الصحة الجنسية والإنجابية والإستراتيجيات الإعلامية، ما أثمر عن نشر 9 مقالات وإنفوجرافيك لتحدي الوصمة والمعلومات المضللة.

أسفرت هذه الجهود عن تقوية حراك المناصرة من أجل دمج خدمات الفيروس ضمن النظام الصحي العام في الأردن. فبحلول عام 2022، نجح المركز في تمكين أصحاب الحقوق من المطالبة بتغيير السياسات، لا سيما دمج خدمات الفيروس في مراكز الأمومة والطفولة والمراكز الصحية الشاملة التابعة لوزارة الصحة، بهدف تطبيع رعاية المتعايشين وتقليل الوصمة.

ومن أبرز الإنجازات كان تأسيس فريق وطني مشترك يضم وكالات أممية، ومنظمات مجتمع مدني، ومؤثرين رئيسيين. ونجح هذا الفريق في تطوير إجراءات تشغيل موحدة لإطلاق تجربة أولى لدمج خدمات الفيروس ضمن خدمات الصحة الجنسية والإنجابية في ثلاث محافظات، تبدأ في عمان بثلاثة مراكز صحية شاملة، ثم الزرقاء وإربد، بمشاركة ست منظمات مجتمع مدني.

كما يسّر مركز سواعد التغيير مشاورات وطنية مع أعضاء في البرلمان الأردني لضمان الدعم الحكومي لدمج هذه الخدمات في السياسات الوطنية للصحة الجنسية والإنجابية. وأسهمت هذه المشاورات في تعزيز المطالبة بحقوق العمل للأشخاص المتعايشين مع الفيروس والأمراض المنقولة جنسيًا، وفتحت المجال لحوارات وتعاونات فاعلة بين أصحاب القرار. وأثمرت هذه الجهود عن موافقة الحكومة على تنفيذ مشاريع تجريبية في عمّان، ولأول مرة تم دمج اختبار الفيروس ضمن خدمات الأمومة والطفولة، وفقًا لإرشادات منظمة الصحة العالمية، مما أتاح فحصًا روتينيًا للنساء الحوامل، وأسهم في الكشف المبكر وتقليل الوصمة وتحسين صحة الأم والطفل.

لقد أرست جهود مركز سواعد التغيير أسسًا لنظام رعاية صحية أكثر شمولًا في الأردن، يتيح للمتعايشين مع الفيروس الوصول إلى الرعاية دون خوف من التمييز. لم يكتف بتحدي الوصمة المجتمعية، بل نجح في تمكين الأفراد والمؤسسات من المطالبة بإصلاحات ممنهجة. ومن خلال مواصلة العمل على دمج الخدمات، والتوعية الإعلامية، والإصلاحات القانونية، يسهم سواعد التغيير في إعادة تشكيل مستقبل رعاية المصابين بفيروس نقص المناعة في الأردن، لضمان ألا يُترك أحد خلف الركب.